«دفع الأذى عن عيّره بكذا»

السيد: صبحي البصام
ليدز/ انجلترا

ملخص

رأى جماعة من اللغويين القدماء أن تعدية الفعل (عيّر) بالباء لغة غير جيدة، وأنّ اللغة الجيدة هي أن يُعدّى الفعل بنفسه، ورأى آخرون جواز التعدية بالباء ولكنهم رأوا أنّ حذفها أجود. وهذه المقالة، بعد استقراء منثور العرب ومنظومهم وبالرجوع الى النحو، تبرهن على أن تعدية الفعل عيّر بالباء هي اللغة الفصحى، وأن تعدية الفعل بنفسه هي لغة أقل فصاحة.

Abstract

Some Old Linguistics Said That The Verb Ayyara (Reproach) With The Preposition Al - Ba'a (of) Is Not A Good Language. But Some Of Them Said It Is Not A Very Good Language, This Article Proves, Through The Investigation Of Classic Arabic Prose And Poetry, And Through Grammar, That The Verb Ayyara (Reproach) With The Preposition Alba'a (of) Is Highly Correct. And Is Better Than To Be Without The Preposition Alba'a (of).

(١) تمهيد:

تكلم جماعة من اللغويين قديماً في «عيّر»، فخطّأ قسم منهم أن يقال «عيّره بكذا» وقالوا إن الصواب «عيّره كذا» بحذف الباء، وأجاز قسم آخر «عيّره بكذا» مع غمص من موضعها. ومقالتي هذه تخالف ذلك كله. فما أدّى إليه فكري، وأفضى اليه نظري، باستقرائي النصوص، أنّ عيّره بكذا أفصح من عيّره كذا.

(٢) تخطئتهم عيّره بكذا:

أ - وقد وجدت ابن قتيبة أول من يخطّىء هذه الباء، وذلك بقوله في أدب الكاتب (ص ٤١١): «وتقول عيّرتني كذا ولا يُقال عيّرتني بكذا»، واستشهد بثلاثة أبيات من الشعر. بقول النابغة: وعيّرتني بنوشيبان خشيته.. البيت. وبقول المتلمس: تعيّرني أمي رجال.. البيت، وبقول ليلى الأخيلية: أعيرتني داءً بأمك مثله.. البيت، وسيأتي ذكر الأبيات بكمالهنّ. وتلا تلوه في التخطئة جماعة منهم:

ب - الهمداني: قال في الألفاظ الكتابية (ص ٢١): «ويقال عيّرته كذا ولا يقال عيّرته بكذا» واستشهد بقول النابغة.

ج - والصاحب بن عباد. قال في المحيط في اللغة (٢/٢١٠):«وعيّرته كذا ولا يقال عيّرته بكذا».

د - والأزهري، قال - كما في اللسان (عيّر) - «وكلام العرب يتعوّرون بالواو. وقد عيّره الأمرَ» واستشهد ببيت النابغة.

هـ- والجوهري. قال في الصحاح (عير):«وعيّره كذا من التعيير والعامة تقول عيّرته بكذا».

و- والحريري. قال، كما في كشف الطرّة عن الغُرّة (ص ١٢٤)، «ويُدخلون الباء على مفعول عيّر فيقولون عيّرته بالكذب. ولم يسمع في كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية عيّرته بالباء». وذهب الى أن قول المقنّع الكندي: يعيرني بالدَّين قومي... البيت وسأذكره بكماله، تحريف من الراوي وان الرواية الصحيحة (يعاتبني بالدين) قلت: قوله الرواية الصحيحة (يعاتبني بالدين) كأني به اعتمد رواية أبي تمام في الحماسة. ويجوز أن تكون روايته هي الأصل، ولكنه غيّر في الحماسة الفاظاً واثبت مكانها ما يوافق ذوقه الشعري. ويجوز أن يكون حذف «يعيرني»

وأثبت مكانها (يعاتبني).

ز- وابن منظور. قال في اللسان (عير): «وقد عيّره الأمرَ.. والعامة تقول عيّره بكذا» واستشهد بقول النابغة.

ح - والفيروز آبادي. قال في القاموس (عير): «وقد عيّره الأمر ولا تقل بالأمر».

ط - أما في تاج العروس (٤٣٤/٣) فذكر الزبيدي شيئاً يشاكل بعض ما ذكرت من تخطئة جماعة استعمال الباء، وشيئاً يشاكل بعض ما سأذكره من إجازة جماعة آخرين استعمالها على تمريض، وأشار الى تخطئة الحريري دون أن يشير الى من سبقه خصوصاً ابن قتيبة. وقال«هكذا صوّبه الحريري في درّة الغوّاص»[1].

٣ إجازتهم اثبات الباء مع الغمص من موضعها:

أ - وممن أجاز الباء مع عيّر مع الغمص من موضعها المعافى بن زكريا النهرواني في الجليس الصالح (٢٠٤/١) قال: «عيّرت فلاناً كذا. أما عيّرته بكذا فلغة مقصرة عن الأولى في الاشتهار والفصاحة وإن كانت هي الجارية على ألسنة العامة». واستشهد لحذف الباء بقول النابغة، ولإثباتها بقول المقنع الكندي.

ب - والمرزوقي في شرحه على الحماسة (١١١/١). قال: «يُقال عيّرته كذا وهو المختار الحسن، وقد جاء عيّرته بكذا». واستشهد بقول عديّ بن زيد: أيها الشامت المعيّر بالدهر.. البيت، وسيذكر بتمامه، وأتى في موضع آخر من الكتاب (٢٣٩/٣) بشاهد لحذف الباء وهو قول سبرة بن عمرو الفقعسي: أعيّرتنا ألبانها ولحومها... البيت، وسيذكر بتمامه. وقال«ويقال عيّرته كذا وهو الأفصح، وعيّرته بكذا».

ج - والبطليوسي في الاقتضاب (ص ٥٠ - البستاني) قال: «والصحيح في هذا أنهما لغتان وإسقاط الباء أفصح وأكثر».

د - وابن بري، انتقد على الحريري تخطئة الباء دون أن يذكر اسم من سبقه الى التخطئة ولا سيما ابن قتيبة، وقال كما في كشف الطرّة عن الغرّة (ص ١٥٢): «قد جاء تعدية عيّر بالباء في كلام الفصحاء». واستشهد بقول عدي بن زيد:

---

(١) قلتُ: قوله «صوّبه» المختار فيه «أصلحه» أو «صحّحه». وقد بحثت في ذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٤/ج١) و (مج ٥٥/ج٤) و (مج ٦٠/ج١).

أيها الشامتُ المعيّر بالدهر.. البيت، وبقول الصلتان:

أعيّرتنا بالبخل إذ كان مالنا لَوَدّ أبوك الكلبُ لو كان ذا بخل

هكذا ورد البيت في كشف الطرّة بالبخل وذا بخل، بالباء، وهو تصحيف من الناسخ أو الطبّاع، والصواب بالنون، وأيضاً استشهد ببيت عزاه الى عدي بن زيد والصواب أنه لرؤبه وهو:

أيها الشامتُ المعيّر بالشيـ... ب أطلت بالشباب افتخارا

و«أطلت» تحريف أقِلّنَّ

(٤) من نقضوا أقوالهم دون أن يدروا:

على أن جماعة ممّن خطّأوا هذه الباء وممن أجازوها، على تفضيلهم حذفها، قد استعملوها دون أن يدروا:

أ - فابن قتيبة وهو أقدمُ من وجدته يخطّئها، وذلك في أدب الكاتب استعملها في خطبة الكتاب نفسه. قال في قريش: «وكانت تُعَيَّر بأكل السخينة». وسبقني الى التنبيه على سهوه هذا البطليوسي في «الاقتضاب»، والجواليقي في شرحه على أدب الكتّاب. وأيضاً استعملها ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢١٢/٣)، قال في بعض القبائل إنها كانت «تُعيَّر بأكل الكلاب، وتعيَّر أيضاً بأكل لحوم الناس».

ب - والمرزوقي مع قوله في شرحه على الحماسة (٢٣٩/٣):«ويقال عيّرته كذا وهو الأفصح، وعيّرته بكذا»، سها بعد بضعة أسطر عن الأخذ بما رآه الأفصح فقال: «بيّن وجوه تصرّفهم فيما عيّرهم به».

ج - ومع أنّ البطليوسي نبّه في الاقتضاب (١٠٩/١) على سهو ابن قتيبة المذكور آنفاً قد وقع من بعدُ في السهو نفسه وفي الاقتضاب نفسه (١٤٩/١)، قال: «لأن البياض والشقرة مما كانت العرب يعيّر بهما بعضهم بعضاً».

د - وابن منظور مع أنه نصّ في اللسان (عيّر) على أن استعمال هذه الباء من كلام العامة، استعملها هو في (عيّر) نفسها، قال «كأنه مما عُيّر به».

(٥) شواهد عيّره بكذا شعراً:

وأنا عارض ههنا ما وجدته من شواهد لعيّره بكذا شعراً:

(١) قال عنترة (شعراء النصرانية قبل الاسلام ص ٨٩٥):

تعيّرني العدا بسواد جلدي وبيض خصائلي تمحو السوادا

(٢) وقال عمرو الهوازني (الاغاني ١٢/١٧):

أعيّرهم في كل يوم وليلة بترك أسير عند قيس بن عاصمِ

(٣) وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه (سيرة ابن هشام ١/٦٠٥):

وإنا وإن عيّرتمونا بقتله وأرجف بالاسلام باغٍ وحاسدُ

وقيل إن البيت للصحابي عبد الله بن جحش رضي الله عنه.

(٤) وقال العباس بن مرداس (الأغاني ١٨/٨٢):

وأني لا أُعيّر في سُلَيمٍ بردّ الخيل سالمة الهوادي

وقال أيضاً (الأغاني ١٨/٩٢):

فأنّى تعيّرني بالفخار فها أنا هذا هو المنكَرُ

وقد جعلت الشاهدين برقم واحد وبمنزلة الشاهد الواحد لأن قائلهما واحد.

(٥) وقال عدي بن زيد (الحماسة ١/١١١ - المرزوقي):

أيها الشامت المعيّر بالدهـ...ر أأنت المبرّأ الموفورُ؟

ومضى استشهاد المرزوقي به (الفقرة ٣ - ب)

(٦) وقال أبو سمّال الأسدي (المؤتلف والمختلف ص ٢٠٢):

يعيّرني الأقوام بالصبر بعده وليس لصدع في فؤادي شاعبُ

(٧) وقال المقنّع الكندي (الشعر والشعراء ص ٧١٦) و (عيون الاخبار ١/٢٢٦):

يعيّرني بالدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

ومضى استشهاد المعافى النهرواني به (القفرة ٣ - أ)، وإباء الحريري رواية «يعيّرني» فيه.

(٨) وقال هدبة بن الخشرم (شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٦٤):

وكان ابن أمي لم يُعيَّر بسوءة ولا دَنَس جرّبت فيما أُعاشرُهْ

(٩) وقال الصلتان (ديوان جرير ٦٨/٢ ط ١٨٩٦):

وعيّرتنا بالنخل أن كان مالنا لَوَدّ أبوك الكلب لو كان ذا نَخْلِ

ومضى استشهاد ابن برّي به (الفقرة ٣ - د)، واعدته هنا مصحّحاً.

(١٠) وقال أيمن بن خُرَيم (أنساب الأشراف ٤٢/١):

عيّرتهُ المتعةَ المتبوع سُنّتها وبالقتال وقد عيّرت بالمالِ

وعجز البيت شاهد لإثبات الباء، وصدره شاهد لحذفها. وسأعيده في «شواهد عيّره كذا شعراً».

(١١) وقال الأحوص وقد استعمل «في» بدل الباء ضرورة (الشعر والشعراء ص ٥٠٢):

وإني وإن عُيّرتُ في طلب الصبا لأعلم أني لست في الحب أو حدا[٢]

(١٢) وقال عمر بن أبي ربيعة (الأغاني ١٠٢/١):

أيها الكاشح المعيّر بالصر... م تزحزح فمالها الهجرانُ

(١٣) وقال رؤبة (أمالي السيد المرتضى ٥٤/٣):

أيها الشامت المعيّر بالشيـ... ب أقِلَّنَّ بالشباب افتخارا

وتقدم استشهاد ابن برّي به (الفقرة ٣ - د)، وأعدته ههنا مصحّحاً.

---

(٢) وأيضاً استعمل «في» الجاحظ في الحيوان (٣٢٩/١) وذلك في قوله «وكما عيّر زيد الخيل حاتماً الطائي في خروجه من طيء...» على أنه يجوز أن يعد ذلك حملاً على المعنى، والتقدير (عاب) مكان (عيّر) وعندئذٍ يجوز حذف شاهد الاحوص.

(٦) شواهد عيّره بكذا نثراً:

وهذا ما تجمع عندي من شواهد عيّره بكذا نثراً:

(١) روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:«من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله» (التاج الجامع للأصول ١٨٤/٥).

(٢) وروى البخاري عن المعرور بن سويد أنّ أبا ذر رضي الله عنه قال: «إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجميّة، فعيّرته بها...». وكذلك هي رواية مسلم «وأبو داود». (التاج الجامع للأصول).

(٣) وكتب عبد الله بن جحش الى مسلمي مكة: «إن عيّروكم فعيّروهم بما صنعوا بكم» (البرهان في علوم القرآن ٢٠٤/١).

(٤) وجاء في كتاب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الى معاوية: «أما الذي عيّرتني به يا معاوية». وفيه «وأنا أعيّرك ببغضهم». وفيه «وأعيّرك بحبّك آباءك» (الغارات ص ٢٠٣). وجعلت الشواهد الثلاثة في مقام الشاهد الواحد لأن قائلهنّ واحد. وكذلك أنا فاعل بشاهدي الحجّاج التاليين.

(٥) وفي كتاب للحجّاج الى عبد الملك بن مروان: «قد علم أمير المؤمنين... بأنّ الذي عُيّر به القوم في مصانعهم أشد ما كان يزاوله أهل القدمة» (العقد الفريد ٢٦/٥). وفي كتاب له الى سليمان بن عبد الملك: «يذكر فيه شتيمتي وتوبيخي بآبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين» (العقد الفريد ٥/ ٤٠).

(٦) وفي وصيّة لعمرو بن كلثوم لبنيه «إني والله ما عيّرت أحدا بشيء الا عُيّرت بمثله» (الاغاني ٥٩/١١) و (الفاضل في صفة الأدب الكامل ص ١٥).

(٧) وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه «فعيّرتني بذنب غفره الله لي» (الأوائل ١/ ٣٠٥).

(٨) وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه «عيّرتني بخير أذنيّ وأحب أذني اليّ» (أنساب الأشراف ١٦١/١).

(٩) وقال محمد بن سلمة لكعب بن الأشرف: «فيعيّر الناس أولادنا بأنّا رهناهم بوسق أو وسقين» (أخبار الأذكياء ص ٢٨).

(١٠) وقال العباس بن مرداس: «فأصبحت العرب تعيّرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمال وأكل الأموال (الأغاني ٨١/١٨).

(١١) وفي رسالة للحسين بن علي الى معاوية جاء فيها: «أما بعدُ، فقد بلغني كتابك وتعييرك إيّاي بأني تزوجت مولاتي...» (زهر الآداب ٧٢/١). وقال لبعضهم: «أتعيرّنا بالفقر وقد نحلنا الله الكوثر؟»

(١٢) وقالت أسماء بنت أبي بكر لابنها عبد الله «فما أجهلهم وأعجب منهم إذ يعيّرونك بذات النطاقين».

(١٣) وقال عمرو بن سعيد بن العاصي للوليد بن عقبة: «فلم تعيّر بالبخل وقد جُبلتَ عليه؟» (أمالي القالي ٣٨/٢).

(١٤) وقال عبد الله بن الزبير «علم أنها شرّ أمهاتي فعيّرني بها» (الأغاني ١٦/١).

(١٥) وقال المختار بن عبيد الثقفي: «أما والله لو أنّ الذي يعيّرني بدومة الجندل كان من القريتين عظيماً ما عيّرني بها» (تاريخ الطبري ٥٩٥/٦).

(١٦) وقال الحسن البصري وقد عيب عليه بكاؤه على أخ له مات: «لقد بكى يعقوب على يوسف حتى ابيضت عيناه فما عيّره الله بذلك.» (الفاضل للمبرد ص ٦٤).

(١٧) وقال عقيل بن عُلّفة لعمر بن عبد العزيز: «ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيّره به الا خؤولتي؟» (الأغاني ١٦/١).

(١٨) وقال مبعوث لعمر بن عبد العزيز مخاطباً بعضهم: «إنك لن تُعَيّر بهذا».(الأغاني ١١٨/٦).

(١٩) وقال هشام بن عبد الملك لابنه: «يعيّرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة» (تاريخ الطبري ٢٠٠/٧).

(٢٠) وقال خالد بن عبد الله القسري ليوسف بن عمر «أتعيّرني بشرفي يا ابن الخمّار؟». (الأخبار الطوال ص ٣٢٨)؟.

(٢١) وقال أبو حمزة الشاري في خطبته المشهورة: «يا أهل مكة تعيّروننني بأصحابي...» (العقد الفريد ١٤٤/٤٠).

(٧) شواهد عيّره بكذا في نثر المولدين:

وهذه شواهد من النثر لعيّره بكذا مما كتبه أعلام اللغة والأدب من المولّدين:

(١) قال ابن المقفّع في «الأدب الكبير» (ص ١٠٣): «فيعيّر به معيّر عند السلطان أو غيره.».

(٢) وقال المفضل الضبي في «أمثال العرب» (ص ٢١) «فعيّره زيد بترك النكاح».

(٣) وقال الفراء في معاني القرآن (٩٨/٢): «وإنما عيّرهم الله بهذا لمّا قالوا: بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا». وقال فيه (٤٥٤/٢): «لمّا عيّر المسلمون بتخلفهم عن غزوة تبوك جعل النبي...».

(٤) وقال ثعلب في ديوان عامر بن الطفيل (ص ١١١): «يعيّره بقلّة الحياء».

(٥) وقال ابن دريد في الجمهرة (رق رق): «كان جاراً لبني عامر فقتلوه فعيّرهم بشر بذلك». وقال فيها (ذم ي): «والمذية اسم بعض شعراء العرب يعيّر بها». واستعمل ابن دريد الباء مع عيّر في الجمهرة عدة مرار، ولم يحذفها قط.

(٦) وقال الزمخشري في مقاماته (ص ١١٠): «اذا عُيّر به خجل».

(٨) شواهد عيّره كذا شعراً:

(١) قال المتلمّس (أدب الكاتب ص ٤١١):

تعيّرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم الاّ بأن يتكرّما

واستشهد به ابن قتيبة (الفقرة ٢ - أ).

وقال أيضاً (مختارات ابن الشجري ص ١٣٩):

عيرّتموني بلا ذنب جوارُكُمُ هذا نصيب من الجيران مخسوسُ

وجعلت الشاهدين برقم واحد وبمنزلة الشاهد الواحد لأن قائلهما واحد.

وكذلك أنا فاعل بأبيات عروة بن الورد التالية.

(٢) وقال عروة بن الورد (الديوان ص ٣٠):

وقد عيّروني المال حين جمعته وقد عيّروني الفقر اذ أنا مقترُ

وعيّرني قومي شبابي ولمّتي متى مايشا رهطُ امرىء يتعيّرُ

وقال أيضاً (المحكم ٣/٣٦٤):

تعيرني طوفي البلاد ورحلتي الا ربّ دار لي سوى حُرّ دارِكِ

(٣) وقال النابغة الذبياني (أدب الكاتب ٤١١):

وعيّرتني بنو ذبيان خشيته وهل عليّ بأن أخشاك من عارِ؟

وتقدم استشهاد ابن قتيبة به (الفقرة ٢ -أ) وغيرُه من بعده.

(٤) وقال الأعشى (الديوان - ثعلب ص ٩٢):

أعيّرتني فخري وكل قبيلة محدّثة ما أورثتها سُعاتها

(٥) وقال سنان بن حارثة المرّي (موسوعة الشعر العربي ٣/٥٧١):

ولا أجيء بسوءات أُعيّرها حتى يؤوب من القبر ابنُ ميّادِ

(٦) وقال أبو المثلم (ديوان الهذليين ص ٢٢٧):

أعيرتني قُرّ الحلاءة شاتياً وأنت بأرض قُرُّها غير مُنْجِمِ

(٧) وقال الزبرقان (تهذيب اللغة (٣/٤ فنع) و «المحكم ٢/٣٥»:

أظِلَّ بيتي أم حسناءَ ناعمة عيّرتني أم عطاءَ الله ذا الفَنَعِ

(٨) ووجدت في كتاب وقعه صفين (ص ٤٧٦) أبياتاً منسوبة الى عمرو بن العاصي جاء فيها:

وعيرني الوليد لقاء ليثٍ اذا ما زار هابته الأسودُ

---

(٣) من شاء مزيد بيان في ذلك فليقرأ ما قلته في كتاب وقعه صفين في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٩ ج ٤ ص ٨٠٨).

والمراد بالليث علي بن أبى طالب، وزار اي زأر - ولا أحق هذا الشعر لعمرو، وأظنه عمل مع الأبيات التي معه في عصر من عصور الدولة العباسية[٣].

(٩) وقال سبرة بن عمرو الفقعسي (الحماسة ٢٣٩/٣ المرزوقي):

أعيّرتنا ألبانَها ولحومَها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهرُ

وتقدم استشهاد المرزوقي به (الفقرة ٣ - ب).

(١٠) وقال منظور الدبيري (اللسان - حظل):

تعيّرني الحِضلانَ أم مُغَلِّسٍ فقلت لها لِمْ تقذفيني بدائيا؟

(١١) وقال أيمن بن خُرَيم (أنساب الأشراف ٤٢/١):

عيّرتَهُ المتعةَ المتبوعَ سُنّتها وبالقتال وقد عيّرت بالمالِ

انظر فيما قلته في (الفقرة ٥ - ١٠).

(١٢) وقال أسماء بن خارجة (البيان والتبيين ١٧٦/٣):

عيّرتني خلقاً أبليت جدّته وهل رأيت جديداً لم يعد خَلَقا؟

(١٣) وقالت ليلى الأخيلية (أدب الكاتب ص ٤١١):

أعيّرتني داء بأمك مثلُهُ وأيُّ حصَان لا يقال له هلا؟

وتقدّم استشهاد ابن قتيبة به (الفقرة ٢ - أ).

(١٤) وقال الفرزدق (ديوان جرير ١٣٣/٢ ط:١٨٩٦):

تعيّرنا أيام قيسٍ ولم ندع لعيلان أنفاً مستقيم الخياشم

(١٥) وقال الراعي النميري (الديوان ص ٢٨٤ فايرت):

وعيّرني الإبل الحلال ولم يكن ليجعلها لابن الخبيثة خالقُهْ

(١٦) وقال عامر بن الطفيل (الديوان ص ٦٠):

تعيّرنا يوم المرورات سادراً وعندك من أيامنا قبلها غِيَرْ

(١٧) وروى الأصمعي عن أعرابي (أمالي السيد المرتضى ١٤٠/٢):

باتت تعيّرني الاقتار والعَدَما لمّا رأت لأخيها المال والخَدَما

(١٨) وفي كتاب العين ٢٣٣/١ عجف - لبعضهم:

إني وان عيّرتني نحولي أو ازدريت عظمي وطولي

(١٩) وأيضاً في كتاب العين ٣٠٤/١ عنص لبعضهم:

فقد عيرتني الشيب عرسى ومسّحت عناصي رأسي فهي من ذاك تعجبُ[٤]

(٩) هل من شاهد لعيّره كذا في النثر؟

لم أجد فيما قرأت من النثر شاهداً لـ «عيّره كذا» يعزى الى من يستشهد بكلامه. ولم أجد للمولدين الكبار الا نصّاً عزاه البكري في كتابه معجم ما استعجم (٤/ ١١٨٠) الى أبي عبيدة، وهو قوله:«يعيّر بني مالك بن حنظلة يوم مُبايض». ومع أن أبا عبيدة لم يكن عالي الكعب في اللغة، يجوز أن يكون البكري حذف الباء من «يوم» من النص المذكور آنفاً اغتراراً منه بقول ابن قتيبة.

(١٠) استدلال وختام:

(أ) فشواهد الفصحاء الشعرية لعيّره بكذا وعدّتها ثلاثة عشر أو اثنا عشر لمن شاء أن يهمل شاهد الاحوص من شأنها أن تأخذ بضبعيها لتضعها أول الأمر موضع «اللغة الفصيحة» التي لا يجوز الغض منها.

على أني بين يديّ شواهد نثرية لعيّره بكذا للفصحاء عدّتها واحد وعشرون، من بينها نصّان من الحديث اتفق على أحدهما البخاري ومسلم وأبو داود. ونصوص من خمس رسائل، واحدة لعلي، رضي الله عنه، وثانية لابنه الحسين رضي الله عنه.

وثالثة لعبد الله بن جحش رضي الله عنه، ورابعة وخامسة للحجّاج، ونصّ من خطبة لأبي حمزة الخارجي اتفقت على لفظه كتب التاريخ والأدب التي روت الخطبة. وهذه الشواهد النثرية من شأنها أن تتعاون مع الشواهد الشعرية لتأخذ بضبعَيْ عيّره بكذا لترقى بها من رتبة اللغة الفصيحة الى رتبة اللغة الفصحى. ومن زعم أن شواهد النثر من كلام العوام فقد أخطأ، أمّا عيّره كذا فتبقى في رتبة اللغة الفصيحة، وليس لها شواهد نثرية تصيّرها الى أعلى من ذلك.

---

(٤) أجدني مترخصاً بعض الترخص في ايرادي الشواهد الثلاثة الأخيرة.

(ب) وعندي أن الباء في (عيرته بكذا) للاستعانة. فلو قال قائل: عيّره بالكذب، كان المراد جعله ذا عار مستعيناً بذكر كذبه. وكثر استعمال عيّر في الشعر لاحتياجهم اليه في مهاجاتهم ومفاخراتهم وغيرهما. وخزل وزن الشعر وغيره الباء التي مع عيّر مراراً كثيرة. فـ «عيّره بكذا» أصل، و«عيّره كذا» فرع نجم بعد حذفهم الباء. ويقرب من عيّره بكذا بعض القرب ذكّره بكذا، فانه أصل. قال تعالى: «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد» (ق/٤٥)، وقال «... وذكرهم بأيام الله».. (ابراهيم/٥). وله فرع هو حذف الباء، وهو كثير في الشعر ومنه قول الخنساء:

يذكرني شروق الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

وأرى أن الكذب في قولهم «عيّره الكذبَ» منصوب لفظاً مجرور محلاً بالباء المحذوفة. وأرى الرأي نفسه في «صخراً» من قول الخنساء.

فان زاد حذف الباء من عيّره بكذا في الشعر على اثباتها فيه فكم من فرع زاد على أصله في النثر والشعر معاً. وذلك نحو «بعد من» وهو أصل، ومن لغة القرآن، فقد انتصب فيه (عن) منصب (مِنْ) في أغلب كلام المولدين، فقيل (بعد عن) وهو فرع، على أن (عيّره بكذا) وهو أصل أسعد حالاً لأنه لم يُحَف عليه في النثر، فهو ما يزال بمجموع شواهده شعراً ونثراً يعلو على (عيّره كذا) علوّاً يوضح الفرق بين الفصيح والافصح، والمليح والأملح.

(ج) ولو كان «عيّر» يتعدى الى مفعولين لسمج أن نرى جملة تدخل فيها الباء على ما يقال له المفعول الثاني، أي لسمج أن نقول «عيره بكذا» كما يسمج أن نقول (ظننت الكتاب بمفيد) و (أعطيت الفقير بدرهم)[٥]. فكيف ونصوص (عيّره بكذا) التي عرضتها شعراً ونثراً هي لأربعة وثلاثين ممن لا تغمز قناته في الفصاحة، ولا تقرع صَفَاتُهُ في البلاغة، وذلك عدا نصوص المولدين؟

(د) وانا إذ أفرغ من التنبيه على فائتة ابن قتيبة هذه وعلى من اغترّ به من العلماء، أقول: إن كان ابن قتيبة مسبوقاً في الذي قاله، فتخطئتي تقع أيضاً على من سبقه.

إنّ العلماء الذين خطّأوا استعمال الباء مع عيّر كُلّهم جواد مُجَلٍّ، بعيد الشأو،

(٥) ظنّ يتعدى الى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر - فالصواب ظننتُ الكتاب مفيداً - وأعطى يتعدى الى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، فالصواب: أعطيت الفقير درهماً.

وسيع الخطو. واتفق أن وهم أحدهم فتلا تلوه آخر، وتلا تلو الآخر آخر، وهلمّ جرّا. وذلك لثقة بعضهم بعلم بعض. ولو كان من دأبهم أن يتثبتوا في كل ما قيل في اللغة، بجمع الشواهد، وترتيبها، ثم اعتبارها والاستدلال منها، لضاقت أزمانهم عن تأليف الكتب التي هي صُوى نهتدي بها، وسُرُجٌ نستنير بنورها، فلا لوم عليهم ولا تثريب. واستدراكي عليهم شيئا لا يجعلني كمن تشيل الكبرياء بشعرات أنفه ليخيل لنفسه أنه أعلم من مشى وطشى. وانما موضع علمي منهم موضع البَرْص من العِدّ، أو موضع الورقة من الدوحة. أما العلماء الذين أجازوا الباء مع عيّر مع تفاوت في الإجازة، فلكلٌ علمه الثخين، ومكانه المكين، ولكنهم أعطوها بعض ما تستحق. ويجوز أن تُجبَهَ إجازتهم إياها بالشك، لقلة شواهدهم، ولعدم شرحهم، ولكثرة من خطّأها.

لقد صُغِّر من «عيّره بكذا» غيرُ مُصَغَّر، ووُضع منها غير موضوع.

وعسى أن أكون رفعتُ خسيستها، ونَعَشتُ ركيستها، ورددت اليها حقها كاملاً(٦).

(٦) نقل لي صديقي الاديب الأريب أحمد ابراهيم العلاونة قسماً من نصوص هذه المقالة من خزانة كتبه في الأردن وأبردها اليّ، فجزاه الله خيراً.